معركة الأطلنطى

للأديب محمد شاهين الجوهرى

« لا تكاد خطبة من خطب تشرشل تخلو من ذكر « معركة الأطلنطى » ، فعلى صفحات هذا المحيط تقوم معركة من أشد المعارك وأعنفها ، فهى المعركة التى ستكتب السطر الأخير من سطور الحرب . وفى هذه المعركة يتعاون السلاح الجوى الألمانى مع سلاح الغواصات ، تضرب الطائرات الألمانية الموانىء والمدن الانجليزية لتنهك قوى بريطانيا فى الداخل ، وتفتك الغواصات بالقوافل التجارية فى عرض المحيط . وإذا كان يجرى فى هذا المحيط شريان الأمبراطورية البريطانية الحيوى ، فلا عجب إذا رأينا ألمانيا تبذل قصارى جهدها لتقطع هذا الشريان لتمنع عن بريطانيا ما يأتيها من معونة ومدد ، بينما تعمل بريطانيا على أن تبقى على هذا الشريان إذ فى بقائه بقاؤها »

المصانع الأمريكية تعمل فتنتج المؤن والعتاد الحربى ؛ واتفاقية الإعارة والتأجير تبيح إصدار هذه المؤن وهذا العتاد إلى بريطانيا . وفى الجزر البريطانية يرابط المدافعون عن الديمقراطية ، ويفصل المحيط الأطلنطى بين هذا المدد الأمريكى وبين المدافعين عن هذه الجزر . وفى هذا المحيط ترتع الغواصات الألمانية متعاونة مع الطائرات فى معركة لا تعرف هوادة ولا رحمة ضد السفن الإنجليزية . ويرى هتلر من وراء هذه إلى غرضين : أولهما إضعاف انجلترا بتدمير موارد ثروتها الداخلية وأحواض سفنها وموانيها ، وشل حركة إنتاج السفن والذخائر الحربية . وثانيهما منع المدد الذى يصل إلى بريطانيا من الخارج بإغراق سفنها فى المحيط ، وعزلها عن أميركا . وعندئذ يسهل عليه مهاجمة بريطانيا

تبلغ هذه المعركة شدتها فى فصل الربيع . ففى هذا الفصل تتقشع السحب التى كانت تخيم على آفاق المحيط فتجعل عمل الغواصات والطائرات عسيراً ، وتبدأ الغواصات الألمانية تجوب المحيط باحثة عن السفن البريطانية ، وتنطلق الطائرات الألمانية فى الجو لتساعد الغواصات فى المهمة الملقاة على عاتقها . وقد كان المتحمسون للطيران فى ألمانيا يعقدون آمالاً كباراً على السلاح الجوى ضد اللاحة البريطانية ، فكانوا يعتقدون أن قاذفة القنابل قادرة على أن ترسل أية سفينة حربية إلى أعماق المحيط ، ولكن التجارب برهنت على أن هذا السلاح لم يحقق ما بنى عليه من آمال ، ولذا أصبح عمل الطائرات الألمانية الرئيسى هو القيام بمهمة استكشاف مواقع السفن واتجاهاتها وإبلاغ ذلك باللاسلكى إلى الغواصات لتهاجم هذه السفن

وعدد السفن التى يصل إلى بريطانيا سالماً هو الذى يقرر إن كان فى مقدورها أن تحافظ على سلامة هذا الخط الحيوى بينها وبين أمريكا ، وأن تضمن دوام وصول الإمدادات إليها . ويقول المستر نوكس : « إن هتلر يعمل على ألا تصل المؤن والذخائر إلى بريطانيا ، لأن فى وصولها هزيمته . إننا لا نرضى لنتجاتنا أن تغرق فى الأطلنطى ، وستلحقنا الهزيمة إذا رضينا بذلك . يجب علينا أن نقى بوعدنا ونساعد بريطانيا لأنها عانت كثيراً فى الحرب الكبرى الماضية لما كان قد لحق أسطولها من الوهن من جراء نشاط العدو . ففى أبريل من سنة ١٩١٧ ، أغرقت الغواصات الألمانية من السفن البريطانية ما حمولته مليون طن تقريباً . وكان الألمان يتوقعون انهزام بريطانيا فى ذلك العام ، ولكن تطبيق نظام القوافل البحرية

وجاء فى شعر أبى دُوَاد الإيادى ، يصف فرساً وصفه بانتفاخ جنبيه[1] :

أجوف الجوف فهو منه هواء ... مثلُ ما جافَ أبزَنًا نجّار

وأبو دواد جاهلى[2] . ويفهم من هذا الشعر أنه يصنع أحياناً من الخشب ، لِمَا جعل صانعه النجار . وكأن بعض العرب كانوا يجتزون بالخشب عن النحاس ، قال ابن برى : « الأبزن شىء يعمله النجار مثل القناوت » ، وأنشد بيت أبى دواد . وروى البخارى أن أنس بن مالك قال : « إن لى أبزنًا أتقحّم فيه وأنا صائم[3] » .

وقد فسر (الأبزن) فى هذا الحديث بأنه الحوض الصغير ، أو حجر منقور كالحوض ، أو شىء يتبرد فيه وهو صائم يستعين بذلك على صومه من الحر والعطش[4] .

(له بقية)

عبد السلام محمد هارون

---

(١) لسان العرب (١٦ : ١٩٦)

(٢) الأغانى (١٥ : ٩١ ساسى)

(٣) صحيح البخارى (٣ : ٣٠ س ٢٠ طبع ١٣١٤)

(٤) عمدة القارى (١١ : ١٣) ومشارق الأنوار وشفاء الغليل ١٤

ووصول المدمرات الأمريكية ، وسفن الحراسة ، واختراع الأجهزة المخبرة عن الغواصات ، قد أضعف كثيراً من خطر الغواصات » .

ويحاول هتلر الآن جهد طاقته كسر شوكة بريطانيا البحرية ويبذل في ذلك أعنف الجهود . فإن دخول إيطاليا الحرب ، وما يحرض به اليابان من قيامها بمناورات دبلوماسية وعسكرية ، إنما هي خطة

وفي حراسة القوافل . وقد فطنت بريطانيا إلى ذلك وعملت من جانبها على إحباط السياسة الألمانية فأجرت بعض القواعد البحرية للولايات المتحدة ، أو بمعنى آخر ألقت مهمة الدفاع عن هذه القواعد على عاتق الأسطول الأمريكي ، وذلك لتقلل من الأعباء الملقاة على عاتق الأسطول البريطاني وتوجه قواه لمناهضة المدو وتأمين طرق قوافلها التجارية وضمان وصول الإمدادات إليها

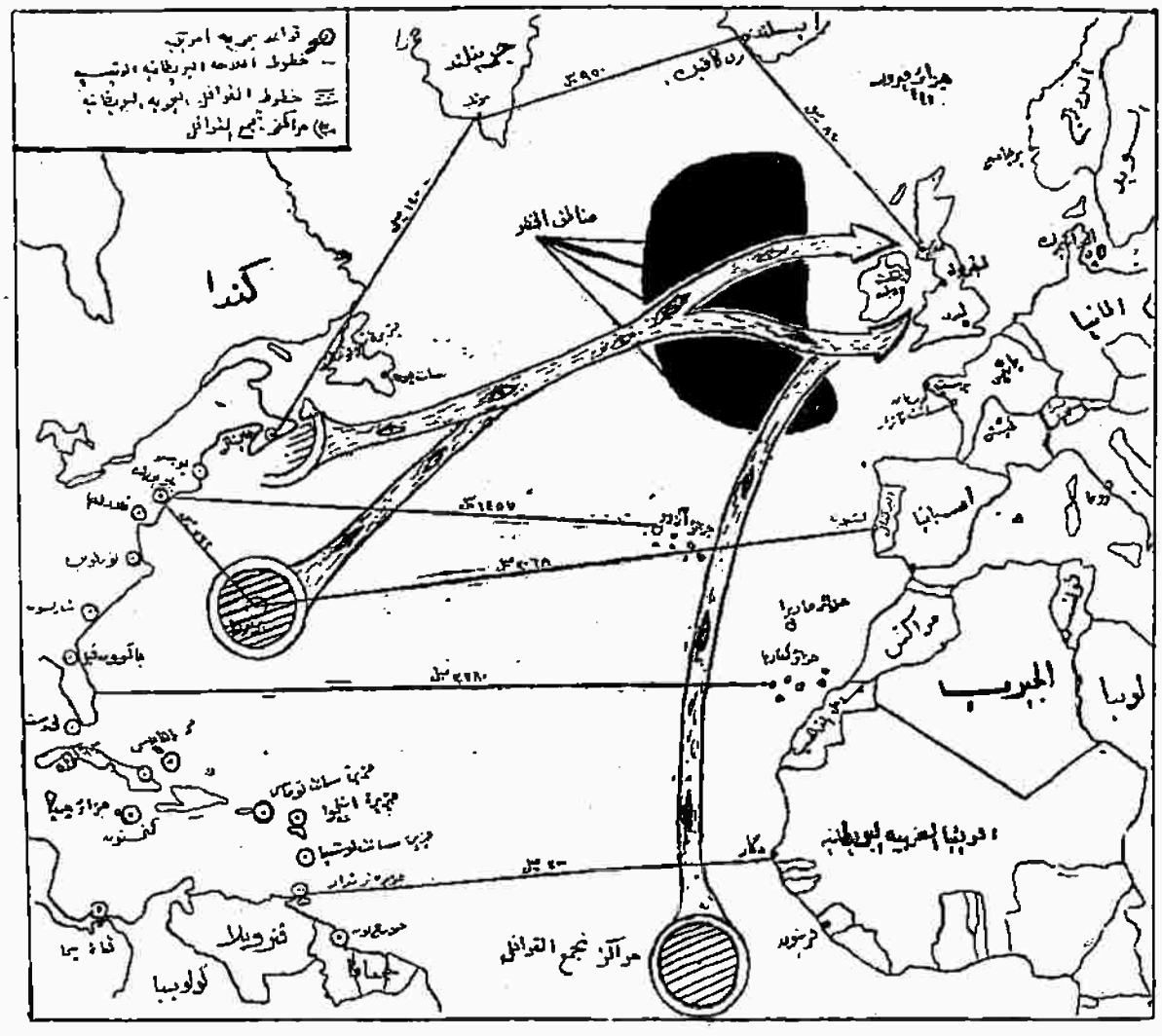

يرمي من ورائها إلى إرغام انجلترا على استخدام أسطولها في ميادين بحرية متعددة لتتوزع قواه ، وتقل مقدرته ، ويصبح من السهل على هتلر أن يضربه الضربة القاضية . وأن مجرد وجود الأسطول الإيطالي في البحر المتوسط قد اضطر بريطانيا إلى الاحتفاظ بوحدات عديدة من أسطولها في هذا البحر في وقت تحتاج فيه إلى هذه الوحدات في الأطلنطي لتعمل ضد الغواصات ،

عند ما بدأت الحرب كانت بريطانيا تملك من السفن ما حمولته ١٨½ مليون طن ، أضيفت إليها حمولة قدرها ٨½ من الأطنان حصلت عليها انجلترا من الدانيمرك وبلجيكا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنرويج وهولندا ، ومن هذا المجموع الذي يبلغ ٢٧ مليوناً من الأطنان أغرق الألمان ما حمولته خمسة ملايين طن أي ما يعادل ½ ما تملكه بريطانيا تقريباً .

من أين لبريطانيا أن تحصل على ما يسد هذا النقص ؟

تنتج بريطانيا من السفن سنوياً ما حمولته ١٫٥٠٠٫٠٠٠ طن . ولكي تسهل المهمة الملقاة على عاتقها أدخلت بعض تعديلات على بناء السفن ، وذلك بالتخلي عن كل ما ليس له مهمة رئيسية في السفينة . وقد صار يُبنى الآن نوع من السفن يكبر حجم السفن العادية مرتين ونصفاً ، ويمكن بناء أجزاء هذه السفن في مصانع في داخلية البلاد بعيدة عن غارات الطائرات الألمانية على أحواض السفن . ويبلغ حمولة ما أمدت به الولايات المتحدة بريطانيا في عام (١٩٤١) ١٫٠٠٠٫٠٠٠ طن . كما تقرر أن تمدها أمريكا بما مقداره ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ طن في عام (١٩٤٢)، وسيبلغ هذا المدد خمسة ملايين طن في عام (١٩٤٣) . وبلغت حمولة ما وصل بريطانيا فعلاً ١٫٥٠٠٫٠٠٠ طن يضاف إليها خمسون قطعة أعطيت لبريطانيا بموجب قانون الإعارة والتأجير . وسيرسل إليها ١٥٠ قطعة تبلغ حمولتها ١٫٥٠٠٫٠٠٠ طن . وهناك مورد آخر لبريطانيا وهو السفن المحجوزة في موانىء الولايات المتحدة ، ويبلغ عددها ٥٨ قطعة حمولتها ٥٨٩٫٠٠٠ طن

تلك هي الموارد التي تجد فيها بريطانيا عوضاً عن بعض ما تفقده . هذا ويبذل العمال جهوداً جبارة لبناء أكبر عدد من السفن، كما يضرب السلاح الجوي موانئ الغزو الألمانية ملحقاً ما استطاع من الخسارة بهذه الموانئ وأحواض السفن . ولا يألو رجال البحرية جهداً في مكافحة الغواصات والقضاء عليها ؛ وبذا تعمل بريطانيا على زيادة الانتاج وتقليل الخسارة مما يساعد كثيراً على سد هذا النقص

وغني عن البيان أن لسيطرة النازي على البلاد الساحلية في أوربا أثرها العظيم في سير معركة الاطلنطي ، فإن الغواصات الألمانية تتخذ من موانئ النرويج شمالاً إلى موانئ فرنسا جنوباً قواعد تكمن فيها . وهذا قد أعطى ألمانيا ميزتين هامتين : أولاهما أن ألمانيا باستيلائها على هذه القواعد أمكنها أن تستخدم غواصات صغيرة الحجم تسع من خمسة رجال إلى عشرة ، بدلاً من الغواصات الكبيرة التي تسع من ثلاثين رجلاً إلى أربعين ، وبذلك قلت الخسارة التي كان يتحملها الألمان من إغراق غواصاتهم كما زاد عدد الغواصات التي تعمل في المحيط . والميزة الثانية أنه باستيلاء ألمانيا على النرويج وفرنسا مكن الغواصات الألمانية من أن تتفادى الخطر الذي كانت تلاقيه في الحرب الماضية حين كان من المحتوم عليها أن تمر بحقول الألغام التي كان ينشرها الانجليز في مضيق دوفر وبحر الشمال كلما أرادت الوصول إلى قواعدها على الساحل الألماني . فالانجليز الآن إذا ما حاولوا تضييق الخناق على الغواصات الألمانية يجب عليهم أن يبذروا حقول الألغام على طول الساحل الأوربي، وهذا يعد من أصعب الأمور وأشقها على الأسطول البريطاني نظراً لوقوع هذه السواحل تحت رحمة القواعد الجوية الألمانية . كذلك فقدت بريطانيا ميزة كانت لها في الحرب الماضية وهي عدم استخدام الموانئ الإيرلندية الغربية كقواعد للسفن مما يضطر الدوريات البحرية أن تقطع للقيام بدورياتها رحلات أشق كثيراً مما كانت عليه في حرب عام ١٩١٤

وإذا كان في استيلاء ألمانيا على هذه السواحل كسب لها وخسران لبريطانيا ، فبريطانيا قد سعت من جانبها لإيجاد وسائل تقضي على الألمان ما اكتسبوه من ميزات ، فزودت سفنها بأجهزة ترشد إلى مكان الغواصات ، وبقذائف الأعماق التي تنفجر تحت سطح الماء وهي تعتبر من أفتك الأسلحة بالغواصات . وكذلك وفق الإنجليز إلى نوع جديد من السفن يعرف باسم (الكورتيث) وهو عبارة عن مدمرة صغيرة تجمع إلى بساطة تركيبها سرعتها وسهولة إدارتها، وتبلغ تكاليف هذه المدمرة الصغيرة ٨/١ تكاليف بناء المدمرة العادية ؛ فلا يزيد ثمنها على نصف مليون من الجنيهات، وتحتاج إلى عدد قليل من البحارة لا يزيد على الأربعين ، ويبلغ طولها نصف طول المدمرة ؛ وحمولتها أربعمائة طن وسرعتها ٢٥ عقدة بحرية في الساعة . ويمكن بناء عشر مدمرات من هذا النوع بدلاً من مدمرة واحدة كبيرة . وتحمل هذه المدمرة مدفعين من عيار ٤ بوصات وقذيفتين للأعماق . ولما ثبت نجاح هذا النوع من السفن في محاربة الغواصات قامت كندا ببناء ٨٠ قطعة . وتبني انجلترا الآن ٣٠٠ قطعة من هذا النوع . هذا وقد زودت كل سفينة تجارية بمدافع ضد الطائرات والغواصات لتكون أقدر على حماية نفسها .

وهكذا تبذل الدولتان قصارى جهودهما وتقذفان بثمرات إنتاجهما في هذا المحيط حيث تدور المعركة الكبرى .

محمد شاهين الجرهري
معهد الصحافة العالي
بالجامعة الأمريكية